# سُنَّة التَّربُّص

## معالمها القرآنية، وأثرها في تحقيق التمكين

(دراسة موضوعية)

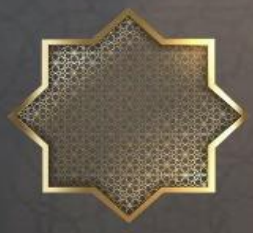

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

قسم القرآن والسنة، كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

# سُنَّة التَّربُّص
# معالمها القرآنية، وأثرها في تحقيق التمكين (دراسة موضوعية)

**أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي**
قسم القرآن والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر
s1435y@gmail.com

## 1. الملخص:

لمراحل التمكين والظهور سُنَن، ولمرحلة الضَّعف والتَّراجع سُنَن ضروريَّة لتغيير الواقع المهين، والخروج من مرحلة الضَّعف والذُّل التي حلَّت بالأمَّة، ومن هذه السُّنَن: سُنَّة التَّربُّص، وهي سُنَّة قرآنيَّة اجتماعيَّة حكيمة تنبذ الجانب السَّلبيَّ المستسلم للواقع، ولها أثر ملموس في قيام الفرد والمجتمع بالواجبات الشَّرعيَّة في أزمنة الضَّعف من الصَّبر، والذِّكر، واليقين، والأخذ بأسباب النَّصر من غير تنازل عن المبادئ، أو تعجُّل، أو تهوُّر.
ويأتي هذا البحث لتناول ما تستوجبه سُنَّة التَّربُّص من العمل وبذل الجهد والاصطبار على طريق الحقِّ طلبًا للنَّصر، والإعداد بدأب سعيًا لاهتبال الفرصة السَّانحة ويوم الفتح الإلهيِّ الموعود المنتظر.
وقد عرَّف هذا البحث بهذه السُّنة، وعالج القصور في فَهْمِ بعضهم لها، ممن تركوا العمل واكتفوا بالانتظار العاجز لحدوث التَّغيير بواسطة الخوارق، وقد وظف الباحث المنهج الوصفيَّ التَّحليليَّ للوصول إلى رؤية قرآنيَّة واضحة المعالم تعرِّف بهذه السُّنَّة وتذكر معالمها، والآثار المترتبة عليها، وتكوَّن البحث من تمهيد وثلاثة مباحث: فعُرِّفَ بسُنَّة التَّربُّص في التمهيد، وخُصِّص المبحثان الأول والثاني لتعداد معالم هذه السُّنَّة في القرآن، وجاء المبحث الثالث لرصد الآثار المترتِّبة عليها، وخلص البحث إلى عدَّة نتائج؛ أهمها:
أن المراد بالتَّربُّص الكمون المترقِّب لانتهاء مرحلة الضَّعف، وليس مطلق الانتظار، والكمون يقتضي العمل المناسب لها استعدادًا لحدوث التَّغيير.
ومنها أن القرآن الكريم تكفَّل بذكر معالم التربُّص التي ينبغي الوقوف عندها لتتحقَّق النتائج والآثار المرجوَّة من التَّطبيق الأمثل لهذه السُّنَّة، وربَّى الجيل الذي ينقلب بنعمة من الله وفضل إلى ميدان التَّحرُّر والتحرير من تخويف الشيطان وأوليائه.

*الكلمات المفتاحية: سُنَّة- التَّربُّص- معالم- أثر- التَّمكين.*

# The Sunnah of Waiting: Its Quranic Features and Its Impact on Empowerment (An Objective Study)

**Professor Abdulsalam Muqbil Al-Majidi**
*Department of Quran and Sunnah*
*College of Sharia and Islamic Studies*
*Qatar University*

## Abstract:

The research delves into the concept of the "Sunnah of Waiting" as a Quranic social practice, elucidating its significance in navigating periods of weakness and decline. It explores the laws governing stages of empowerment and emergence, contrasting them with the Sunnah of waiting, a strategic approach that discourages passive acceptance of challenging realities. Emphasizing the tangible impact on individuals and society during times of weakness, the study advocates for active engagement, urging adherence to religious duties, patience, remembrance, certainty, and the adoption of means for victory without compromising principles.
The research methodically addresses the Sunnah of Waiting, emphasizing its call for proactive efforts and perseverance in the pursuit of truth, aiming for victory and preparedness for the anticipated divine day of conquest. Additionally, the paper confronts misconceptions surrounding this Sunnah, particularly those who abandon action, relying solely on passive waiting for miraculous change.

Employing a descriptive-analytical approach, the research unfolds in three chapters, introducing and defining the Sunnah of Waiting, enumerating its Quranic features, and examining resulting impacts. Key findings include a clarification that waiting entails vigilant anticipation for the end of weakness, not passive inaction, and the Quran's emphasis on features of deliberation to optimize Sunnah's application. The research concludes by highlighting the importance of nurturing a generation liberated from the influence of Satan and his allies, securing the desired results and impacts through the optimal implementation of the Sunnah of Waiting.

**Keywords:** *Sunnah, waiting, Features, Impact, Empowerment.*

## 2. المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فالقرآن يصنع الحياة، ويصبغها بصبغة الله: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة الآية 138]، ويدبّرها بالسُّنَن الرَّبَّانيَّة التي تجليها البصائر القرآنية، ومن ذلك: سنن تداول الأيام، وتقلُّبات الدهر، والتبديل الحضاري، والتدافع الإنساني بين الأمم، ومن هذه السنن: سُنَّة التَّربُّص والانتظار.

وقد تطرقت هذه الدراسة إلى تعريف هذه السُّنَّة، وذكر معالمها في القرآن الكريم، وبعض آثارها المترتبة على العمل بها، مِنْ تقوية الثقة بنصر الله Y، وطرد اليأس والقنوط، وحصول السعادة والطمأنينة، واليقين بحصول التمكين والعاقبة لأولياء الله المتقين.

### 1. *أهمية البحث:*

1-احتياج الأمة المسلمة إلى استيعاب هذه السُّنن؛ فهي تمرُّ بمرحلة استضعاف هائلة، وتراجع حضاريٍّ مستمرٍ يقابل العلو الكبير للحضارات التي تحاد الله ورسوله، وتعادي المسلمين باستكبار وغرور، وهذا يستوجب تقديم الرؤى القرآنية الموجِّهة للتعامل مع هذه المرحلة.

2- إدراك ثبات السُّنَن الرَّبَّانيَّة التي تدير الكون وتحكمه، وعند ذلك نتعامل بمقتضياتها، وموجباتها، فسنن الله ثابتة لا تتغير؛ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر الآية 43]، ويقرِّر ابن تيمية -رحمه الله- (ت728هـ) هذا الثبات لسنن الله ثابتًا يطرد المحاباة للأسماء أو للأجناس أو للألوان، فيقول: «فإنه -سبحانه- إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل هو -سبحانه- لا يفوت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل، وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر، وأنه -سبحانه- يسوِّي بين المتماثلين ويفرِّق بين المختلفين»[1].

3- التركيز حول موضوع هذه الدراسة، وهي سُنَّة التَّربُّص؛ إذ لم تلق هذه السنة حظها من الدراسة وفق الرؤية القرآنية.

4- لتثبيت قلوب المؤمنين من خلال إدراك سُنَّة التَّربُّص، وإعادة الأمل في نفوسهم، والثقة بنصر الله تعالى، وفَهْمِ الجوانب الإيجابية الضخمة التي يثيرها السياق في القرآن العظيم.

### 2. *مشكلة البحث:*

تبرز مشكلة البحث من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

(1) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم جامع الرسائل لابن تيمية. جامع الرسائل. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. دار العطاء، الرياض، ط1، 1422هـ، (1/ 55).

1- ما تعريف سُنَّة التَّربُّص والانتظار؟

2- ما معالم سُنَّة التَّربُّص في القرآن الكريم؟ وما تطبيقاتها الواقعية؟

3- ما الآثار المترتبة على فَهْمِ سُنَّة التَّربُّص؟

4- كيف يمكن استثمار هذه السُّنَّة في تغيير واقع الأمة المرير وتحقيق أسباب النصر والتمكين؟

### 3. أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- التعريف بسُنَّة التَّربُّص والانتظار، وبيان أهميتها.

2- ذكر معالم سُنَّة التَّربُّص والانتظار باستقراء آيات القرآن التي تتحدث عنها.

3- ذكر بعض الآثار الدنيوية والأخروية المترتبة على الأخذ بهذه السُّنة المتعلِّقة بتداول الأيام وصناعة المجد الحضاري للأمم.

4- توضيح بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة بضرورة تحقُّق هلاك الظالمين لمجرد وقوع الظلم، وضرورة نصر المؤمنين دون مراعاة لحيثيات سُنَّة التَّربُّص ومظاهرها.

### 4. حدود البحث:

يتناول هذا البحث سُنَّة التَّربُّص وتدرسها دراسة موضوعية، من خلال مدلولاتها المتنوعة في القرآن الكريم، وفي ضوء ذلك تستجلي معالم هذه السُّنَّة، وترصد الآثار المترتبة عليها في تحقيق النصر والتمكين للأمة الإسلامية.

### 5. الدراسات السابقة:

لم أقف على أبحاث أو دراسات تناولت سُنَّة التَّربُّص والانتظار بالبحث والدراسة، وقد بحثت كثيرًا لعلي أعثر على دراسة سابقة لأثبتها هنا، فلم أجد، ولكن توجد كتب كثيرة مؤلَّفة في السُّنَن بصفة عامَّة، أو في الصبر بصفة خاصَّة، وسُنَّة التَّربُّص تختلف في مفاهيمها عن سُنَّة الصبر.

### 6. منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع النصوص القرآنية التي عرضت لسُنَّة التَّربُّص، مع الوقوف على كلام المفسرين والمحققين من أهل العلم ممن عرض لهذه االسُّنَّة، ومن ثم تناولُ كلِّ ذلك بالدراسة والتحليل، وصولًا إلى وضع معالم وموجِّهات تقتضيها سُنَّة التَّربُّص والانتظار.

### 7. خطَّة البحث:

التمهيد: التعريف بسُنَّة التَّربُّص.
المبحث الأول: معالم سُنَّة التَّربُّص بلفظها الصريح في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: معالم سُنَّة التَّربُّص في القرآن الكريم بمفهومها لا باللفظ المباشر.
المبحث الثالث: الآثار المترتبة على استيعاب سُنَّة التَّربُّص والقيام بوظائفها.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

## 3. التمهيد: التعريف بسُنَّة التَّربُّص

**التربص في اللغة:** تفعُّل من (ربص): " أصل واحد يدل على الانتظار"[2]، وربص بالشيء رَبْصًا وتربَّص به: انتظر به خيرًا أو شرًّا، وتربَّص به الشيء: كذلك[3]، قال الليث: "التربص بالشيء أن تنتظر به يومًا ما"[4].

والانتظار هنا يقتضي المتابعة حتى يحدث أمرٌ متوقع، وفي ذلك قالت جمعة الإيادية:

أتاه حِمَامُ الموتِ يَسْعَى بِحَتْفِهِ وقَدْ كانَ مَغْرُورًا بِدُنيا تَرَبَّصُ[5]

ويرى الراغب أن «التّربّص: الانتظار بالشيء، سلعة كانت يقصد بها غلاء، أو رخصًا، أو أمرًا ينتظر زواله أو حصوله، يقال: تربّصت لكذا، ولي رُبْصَةٌ بكذا، وتَرَبُّصٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة الآية 228]»[6]، فالمطلقة تنتظر زوال قروئها لأجل أن تستأنف حياة الزوجية، بأن يحق لها أن تستقبل الخُطَّاب، وبذا يمكن أن نقرّر أن التربص في معناه اللغوي انتظار ثابت في مكان ما، وحالة محددة مع الترقب والاستعداد لتغير تلك الحالة، حتى يأتي وقت يحدث فيه أمرٌ متوقع يظهر فيه التغيير[7].

ويمكننا أن نستنبط الخصائص الآتية لهذه المفردة القرآنية الخاصة التربص من خلال التحليل اللغوي:

1- طول الانتظار نسبيًا، ورأى العسكري (ت نحو 395هـ) أَن التَّرَبُّص طول الِانتِظَار يكون قصير المدَّة وطويلها، وَمن ثمَّ يُسمى المتربص بِالطَّعَامِ وَغَيره -أي المحتكر الذي ينتظر أن يرتفع سعر الطعام- متربصًا؛ لِأَنَّهُ يُطِيل الِانْتِظَار لزِيَادَة الرِّبْح، وَأَصله من الرُّبصة وَهِي التلبث يُقَال: مَا لي على هَذَا الْأَمر ربصة، أَي: تلبث فِي الِانْتِظَار حَتَّى طَال[8].

2- الشروع في المتربَّص به، فهو «الانتظار، وذلك يصدق بالشروع فيه، فتقول لمن أمهلته: قد أجَّلتك أربعة أشهر، وتربَّصت بك أربعة أشهر»[9].

3- توقع حدوث شيء بعد مضي الزمن المتربَّص فيه على سبيل القدَر أو الرجاء أو التمني، فرأى محمد رشيد رضا أن التربص هو "التمهل في انتظار ما يُرجى، أو يُتمنى

(2) ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ، (477/2).

(3) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 1421هـ، (127/12).

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، (39/7).

(5) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1326هـ، (ص: 63).

(6) الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم/دمشق، الدار الشامية/بيروت، ط1 1412هـ، (ص: 328).

(7) جبل، محمد بن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ، ط1 1431هـ، (745/2).

(8) العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قُم)، ط1، 1412هـ، (ص: 76).

(9) الطِّيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: د. جميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ، (384/3).

وقوعه"[10]، وأكثر استعماله أن يكون انتظار حصول شيء لغير المنتظِر (بكسر الظاء)، ولذلك كثرت تعدية فعل التربص بالباء؛ لأن المتربص ينتظر شيئًا مصاحبًا لآخر هو الذي لأجله الانتظار"[11].

4- يصحبه الصبر الحكيم، فالتربص عند الحرالي «إمهال وتمكث يتحمل فيه الصبر الذي هو مقلوب لفظه»[12].

5- تحفُّز المتربِّص لما بعد التربص، ومتابعته وملاحظته، فلا بد أن نفرق بين الانتظار المطلق، والتربص في تحليلنا اللغوي، فيظهر أن الانتظار مفردة عامة بينما التربص انتظار خاص، لكنه يوصف بالطول لا لطول مدَّته بالضرورة، بل لما يصحبه من تحفُّز المتربِّص، وترقُّبه ليقع تغييرٌ ما يتوقعه؛ إما لأنه لا بد أن يقع قدَرًا، وإما لأنه لا بد أن يقع شرعًا، وإما لأنه لا بد أن يقع واقعًا، ولذا يستعد المتربِّص بالمتربَّص به، وبالأمر المتربَّص له، ويلحظ الدكتور محمد الهلال أن: «التربُّص هو التلبث في الانتظار، وفيه معنى المتابعة، والملاحظة»[13].

6- وللتربص في مجال السنن الإلهية خاصية منفردة جاءت مما سبق مع خصوصية السنن، فليست تعني مطلق الانتظار والتمهُّل، بل المراد به ترقبٌ خاصٌّ لانتهاء مرحلة الضعف السائدة، وصبرٌ على الواقع القدريّ دون تنازلٍ أو مداهنةٍ أو تعجُّل، فالتربص إذن انتظار حصول العاقبة الحميدة من غير ضجر أو ملل مع القيام بأقصى ما يمكن القيام به، والعاقبة الحميدة قد تكون عاجلة كالنصر، والتمكين، والفرج، والثبات على الدين حتى الممات، والشهادة في سبيل الله، وقد تكون آجلة كحصول الثواب الأخروي على هذا التربص، ودخول الجنة، التي أعدها الله Y لعباده الصالحين.

(10) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1410هـ، (414/10).

(11) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1414هـ، (224/10).

(12) المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ، (ص: 95).

(13) الهلال، محمد، تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، النص منسوخ من موقع التفسير https://tafsiralthary.com، المكتبة الشاملة، الكتاب غير موافق للمطبوع،(85/2).

## 4. المبحث الأول: معالم سُنَّة التَّربُّص بلفظها الصريح في القرآن الكريم

الكون محكوم بسنن ربانية لا يخرج عنها، يسري ذلك في حق الأفراد والجماعات، وإذا كان لمراحل التمكين والانتصار سنن ومقتضيات يتوجب على المؤمنين القيام بها؛ فإن لمراحل الضعف مقتضيات وواجبات ينبغي للمؤمنين الوفاء بها، ووظائف يجب ألا يتنصلوا عنها، وكما يعرض القرآن لقصص التمكين والانتصار لأنبياء الله وعباده الصالحين، فإنه يعرض -أيضًا- لمراحل الاستضعاف التي مرَّ بها بعضهم؛ تعليمًا وإرشادًا للأمة إلى كيفية التعامل مع كل مرحلة بما تقتضيه طبيعتها.

ويجذبك بشدَّة حديث القرآن المتكاثر عن سُنَّة التَّربُّص في حالتي الاستضعاف والتمكين، فليست هذه السُّنَّة مقتصرة على حالة الاستضعاف، فقد وردت هذه الكلمة «تربص» سبع عشرة مرة في اثني عشر موضعًا من القرآن الكريم باشتقاقاتها، ووردت بمعناها ومقتضياتها أو بلفظ يقاربها في مواضع متعدِّدة، ولهذه السُّنَّة بلفظها الصريح معالم جلَّاها لنا القرآن المجيد، يمكن تلخيصها في الآتي:

### 1. *المَعْلَم الأول: التَّربُّص يعني الانتظار المتيقِّن لحلٍّ مؤكَّدٍ يلوح في الأفق بعد مدَّة معلومة:*

ويُبَصِّرنا القرآن المجيد بهذا المَعْلَم في قول ربنا: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة الآية 226]، ومعنى الكلام: للذين يحلفون أن يعتزلوا نساءهم، فلا يقربوهن تربص أربعة أشهر[14]، «فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر، فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر: إما أن يفيء -أي: يجامع -وإما أن يطلق، فيجبره الحاكم على هذا أو هذا لِئَلَّا يَضُرَّ بها»[15].

فالتعبير عن الانتظار المحدَّد جاء بهذا المصطلح الفريد {تَرَبُّصُ} دون غيره مما يقاربه، فالذين يحلفون ألا يقربوا نساءهم تنتظر نساؤهم أربعة أشهر، وهذا الانتظار تتعلق به نتيجة محددة متيقنة، لكنها ذات خيارين أو أكثر، وذكر الله Y هنا خيارين: الفيء أي: العودة إلى حالة الزوجية المعتادة، أو الطلاق ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة الآية 226، 227].

ومثل هذا المعنى لمصطلح التربص نجده في قول ربنا: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة الآية 228]، ومثل هذا المعنى نجده في قول ربنا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة الآية 234].

وكذلك التربص في السُّنَن الرَّبَّانيَّة لا بدَّ فيه من ترقُّب نتيجة محدَّدة بناء على أسباب شرعيَّة وكونيَّة محدَّدة.

### 2. *المَعْلَم الثاني: التربص في السُّنَن الرَّبَّانيَّة يقتضي انتظار خيارات متعدِّدة لا تخرج عنها نهاية المرحلة، ولكن تحديد ظهور هذه الخيارات يخضع لمدَّة تقريبية، وليست معلومة بدقَّة:*

ونجد هذا المعنى في قول ربنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء الآية 141].

فالكلام هنا عن المنافقين الذين يتربَّصون بالمؤمنين منتظرين إحدى نتيجتين: إما أن ينصر الله المؤمنين، فيدَّعون حينذاك أنهم كانوا مع المؤمنين، وإما أن يكون للكافرين نصيب قَدَريٌّ في الظهور على المؤمنين، فيذكِّر المنافقون الكافرين أنه كان لهم دورٌ أساسيٌّ في انتصارهم على المؤمنين[16].

---

(14) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، إلى نهاية الآية ٢٧ من سورة إبراهيم، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (456/4).

(15) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ، (604/1).

(16) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، ط1، 1422هـ، (488/1).

فكلمة ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ أبانت لنا هنا عن أن المنافقين ينتظرون إحدى نتيجتين، ويعملون لهما، ولكن ظهور إحدى النتيجتين لا يكون خلال مدة محددة بدقة، بل تكون المدة تقريبية، وذلك بخلاف التربص في الأحكام الشرعية؛ فإن الغالب الأعم تحديد أجل معين للمتربص كما في المَعْلَم السابق.

### 3. *المَعْلَم الثالث: قد تكون نتيجة التَّربُّص نتيجة لا يتوقعها المؤمنون إذا كثر الخبث فيهم، وازدادت الأخطاء، ولم تتبع التشريعات الرَّبَّانيَّة:*

فقد ذكر الله Y هذه السُّنَّة مهدِّدًا المجتمع المسلم عندما يؤثرون ثمانية الحياة الدنيا ومُتَعها على ثلاثية الصدق مع الله Y، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة الآية 24].

قال ابن تيمية وهو ينظر إلى الثمانية مقابل الثلاثة في هذه الآية: «فأخبر أن من كانت محبوباته أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد، وقال في الذين يحبهم ويحبونه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة الآية 54]، فلا بدَّ لمحبِّ الله من متابعة الرسول، والمجاهدة في سبيل الله»[17].

وقال محمد رشيد رضا: «ولم يرتب هذه المؤاخذة على أصل الحب، لما ذكر في الآية من مجامع حظوظ الدنيا ولذاتها؛ لأنه غريزي، بل رتَّبه على تفضيل هذه الحظوظ والشهوات الدنيوية في الحُبِّ على حُبِّ الله ورسوله، والجهاد في سبيله الموعود عليه بما تقدم آنفًا من أنواع السعادة الأبدية في الآخرة، وكذا ما دونه كما يدل عليه تنكير كلمة "جهاد"»[18].

ففي هذا التعبير -كما يقول ابن عاشور(ت 1393هـ)-: «تحذير من التهاون بواجبات الدين مع الكناية عن جعل ذلك التهاون مسببا على تقديم محبة تلك العلائق على محبة الله، ففيه إيقاظ إلى ما يؤول إليه ذلك من مهواة في الدين وهذا من أبلغ التعبير»[19].

### 4. *المَعْلَم الرابع: التَّربُّص سُنَّة لا يهملها أولياء الشيطان، فينبغي ألا يهملها أولياء الرحمن:*

ويبصرنا الله Y بهذه الحقيقة الفخمة في قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة الآية 52]، فالآية تبصرنا أن أولياء الشيطان يتربصون بنا بصورة دائمة لا تفتر مهما كانت الأحوال، وإذا رأيتهم ضعفت قوتهم، أو ذهبت شوكتهم، فإنهم يُعمِلون سُنَّة التَّربُّص، فيعملون بهدوء، وينتظرون تحقق واحدة من النتائج التي يرجونها، وهذا دأب قوى الإجرام والكفر في العالم منذ القِدم؛ فقد قال الله Ψ عن قوم نوحٍ υ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون الآية 25].

واستمروا على اللجوء إلى هذه السنة الواضحة إلى زمن سيدنا محمد -ﷺ-، إذ قال الله Ψ عن مجرمي الكفار الذين واجهوا سيدنا محمدًا -ﷺ-: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور الآية 30].

وفي مقابل ذلك يعلمنا الله تعالى أن نُعمِل سُنَّة التَّربُّص، وأن نعلن لهم ما قد يدفعهم إلى الإحباط واليأس -مع أن سيدهم إبليس لا ييأس-، ونخبرهم بوضوح أننا أيضًا لا نفتر، ولا نهاب النتائج التي يمكن أن تُحدثها المدافعة بيننا وبينهم ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور الآية 31].

---

(17) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ، (364/8).

(18) رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، (202/10).

(19) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (153/10).

### 5. *المَعْلَم الخامس: المنافقون من أكثر الفئات الكافرة إعمالًا لسُنَّة التَّربُّص:*

ويبصرنا بهذا قول الله واصفًا نداء المنافقين للمؤمنين في الآخرة، ومبينًا جواب المؤمنين الكاشف لخطط المنافقين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد الآية 14]

### 6. *المَعْلَم السادس: الحذر من التغافل عن سُنَّة التَّربُّص، فالعدو لا يغفل عنها:*

بما أن الجميع لا بد أن يُفَعِّل سُنَّة التَّربُّص فإن الله Y يبصرنا أن يظل هذا التفعيل دائمًا مستمرًا؛ إذ يقول: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه الآية 135][20].

### 7. *المَعْلَم السابع: الحذر من المتربص الخفي الذي لا يؤبه له، فضرب الله Y لنا مثلًا بأعراب من البدو يتربصون بالإسلام وأهله، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة الآية 98]:*

وواضح من سياق سورة التوبة أن الله Y يبين دور هذه الفئة من المجتمع، فهي تعيش بعيدًا عن مركز صنع القرار، نائية بنفسها عن المدن الكبيرة، ومراكز العمل المستقرة، لكن لا ينبغي أن يُستهان بدورها السلبي، وتربصها الدائم بما يدور في مراكز الأمة، ويقابل هذه الفئة القسم الصالح منهم، وهم الذين قال الله Y عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [التوبة الآية 99]، وكأن من أسباب الإشارة إليهم الإفادة من دورهم الإيجابي مقابل الدور السيء الذي يمارسه من يقابلهم من الخونة.

## 5. المبحث الثاني: معالم سُنَّة التَّربُّص في القرآن الكريم بمفهومها لا باللفظ المباشر

يدلنا على سُنَّة التَّربُّص عددٌ من المفاهيم الأخرى التي تدخل ضمن مبادئ التربص، ومن أبرزها:
الصبر، والانتظار، وعدم استعجال النصر أو حلول العذاب على المجرمين، وعمل المكانات،
ويمكننا أن نخرج بمعالم ضخمة عند النظر إلى هذه المفاهيم إن ربطناها بسُنَّة التَّربُّص في القرآن المجيد، وسأكتفي ببعض هذه المعالم:

### 1. *المَعْلَم الأول: سُنَّة التَّربُّص تستلزم الصبر الإيجابي الذي لا يتخلى الصابر فيه عن المبادئ الحقَّة:*

الصبر سنة ربانية تشريعية ضخمة مستقلة، ولنأخذ ملمحًا يتعلق بسُنَّة التَّربُّص، حيث ترى فيها الاهتمام التربوي القرآني البالغ بمحتوى التربص رحمةً بالإنسانية؛ إذ يربي القرآن النبي -ﷺ- على الانتظار الذي يعني الصبر على الواقع القدريّ دون تنازلٍ أو مداهنةٍ أو تعجُّلٍ:

1) **الصبر على التبليغ وطلب الهداية:** فيقول الله Y: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم الآية 48].

ما أقوى هذا الأمر المجيد! يأمر الله نبيه -ﷺ- أن يصبر على التبليغ، ولا يتعجل طلب عقوبة المعرضين، ولا يستبطئ هدايتهم، ولا يمل من دعوتهم، ويضرب له مثالًا لأحد النبيين المباركين الصديقين هو يونس υ، إذ بذل جهدًا في التبليغ، لكنه تعجل بعض الشيء، وكأن الله يقول: « فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك.

(20) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (347/16).

وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ الذي حبسه في بطنه، وهو يونس بن مَتَّى ﷺ فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبسه في بطنه: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول: إذ نادى وهو مغموم، قد أثقله الغمّ وكظمه»[21].

**2) الصبر لا يعني طاعة المجرمين، والتنازل لهم:**

كما يأمر الله Y الداعية الأعظم -ﷺ- ألا يقتدي بيونس النبي المكرم υ في هذه الجزئية، فإننا نجد التربية القرآنية تأمره ألا يجعل من صبره مداهنة للآثمين والكفرة، فيقول وفق الأسلوب نفسه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان الآية 24].

فمن أهم المعاني التي تدل عليها الآية: « ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ في تأخير الإذن في القتال ونظيره: ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الْأَعْرَاف الآية 87]»[22].

3) **الصبر يعني الثقة بالعاقبة،** ولا بد أن يقترن بالتقوى لا بالفجور والمداهنة والتنازل، ولا بالتضجر والشكوى: فيقول الله Ψ لنبيه –صلى الله عليه وسلم– مبشرًا له بالعاقبة الحميدة ما دام مقيمًا أمر الله Y في نفسه غير متعجلٍ لتغيير كليّ في غير أوانه، وهو يضرب له الأمثال بنوحٍ υ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود الآية 49]، ومع الصبر الذي لا يتعجل النتائج التغييرية الحاسمة ينبغي أن يبقى الإنسان قائمًا بأمر الله Y فيما يمكنه القيام به، ويجعل الذكر مدرسته الكبرى؛ لتملأ قلبه بالاطمئنان والإشراق، إذ يقول الله Y: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه الآية130]، وترى تعدد الهيئات الآمرة بالصبر والذكر مع اشتداد ضغوط القوى المعتدية على الصالحين؛ إذ يقول الله جل ذكره: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق الآية39]، ويقول سبحانه في تربيةٍ متواصلة على المبدأ ذاته: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر الآية 55]، ويقول الله Y له ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج الآية 5].

**4) الصبر يكون طلبًا لوجه الله، وتوفيقه، ومحبته، ورضاه، وهذا يعني أن يظل القلب محترقًا لما يرى من المنكر والظلم:**

فكان من أوائل المبادئ التي رُبّي عليها البشير النذير -ﷺ- قول الله تعالى جده: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر الآية 7]، وترى ذلك دأب الأنبياء –عليهم السلام–المقتدى بهداهم، فها هو شعيب υ يقول: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]، ولكن الله Y يؤكد أن الصبر ينبغي أن يكون إيجابيًا، لا مداهنًا، ولا مذيبًا لمبادئ الحق

(21) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (562/23).

(22) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، (758/30).

الواضحة، بل يكون على سنن أعظم الرسل، وهم أولو العزم، فيقول الله Y: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف الآية 35].

5) **الصبر يقتضي تدارس واقع الأنبياء السابقين، وكيف جمع الله لهم بين الأيدي والأبصار** أي القوة –حتى في أوقات الاستضعاف– والحكمة، ولنأخذ مثال ذلك في سورة (ص)، فهنا يبلغ الإعجاب بالتذكير القرآني مبلغه، عندما ترى أن الله Y يقص عليك أنباء الأمم السابقة وهم يكذبون رسلهم –عليهم السلام–، ثم يختصر القصة بذكر هلاكهم على طول التدافع الذي حدث بين الطرفين، فكأن قَدٍ (أي كأن ذلك قد وقع وتحقق): ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص من الآية 12 إلى الآية 14]، ثم لا تبرح حتى تجده يبين لك أن القوى المجرمة المعاصرة لك تسارع إلى سلوك نفس السبيل، ويقص عليك نبأهم وهم يسخرون ويرجون نزول العذاب عليهم ليستهزئوا بك أمام الرأي العام الذي يشاهدكم جميعًا ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص من الآية 15 إلى الآية 16] وأمام هذا الكَمِّ الهائل المتكرر صباح مساء من لعبهم وقهقهاتهم وسخريتهم يأمرك بالصبر، وتذكُّرِ سِيَر الصابرين السابقين ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص الآية 17]، ويمضي سياق سورة (ص) في ذكر الصبر على تبعات التمكين في قصتي داود وسليمان ، والصبر على تبعات الابتلاء في قصة أيوب ، ثم يذكر الله Y هاتين الصفتين العظيمتين لآل إبراهيم عليهم السلام، فيقول: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص الآية 45].

6) **الصبر يقترن بالتقوى دائمًا، وخاصة في واقع التدافع**، والتقوى علامة الثبات العظيمة على المبادئ، فتعني إيجاد الوقاية من المخاوف الدنيوية بما يناسبها من بذل الأسباب، والوقاية من المخاوف الأخروية بتتبع رضا الملك الوهاب، وقد جمع الله بينهما في مواضع منها قوله: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران الآية 120]، وقوله: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران الآية 125]، وقال عن مواجهة تحالف الإيذاء المكون من أهل الكتاب والوثنيين: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186] وقال: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف الآية 128].

والتقوى لا يمكن أن تتحقق دون الإيمان القوي بأن العقيدة التي يتبعها المؤمن حق كامل محض، وهنا نستذكر قول الشيخ فريد الأنصاري (ت 1430هـ): "لقد كان الرسول -ﷺ- في لحظات بعثته الأولى وبداية

تنزل القرآن عليه بحاجة إلى الإيمان بنفسه أولًا؛ ولذا خوطب بقوله: (اقرأ)، وقال مما قال لخديجة -رضي الله عنها- (ت 3 ق.هـ): «لقد خشيت على نفسي»[23]، فطمأنته وذهبت به إلى ورقة، فطمأنه وبشره، ثم توالت الآيات تقرر الإيمان في نفسه بنفسه أنه نبي ورسول من عند الله داعية إلى الله ودينه، فلما آمن هو بنفسه انطلق بعدها يدعو.. آمن هو أولًا بنفسه قبل أن يدعو أقرب الناس له قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ البقرة الآية 285] فهل آمنت الحركات الإسلامية بنفسها أنها دعوة إلى الله؟ هل آمنت بنفسها بأنها دعوة لتجديد الدين من حيث كونه دينًا؟ إلى أي حد تجد الحركة الإسلامية نفسها مشتغلة بصلب الدين ومجددة لحقائقه الإيمانية في الأمة؟ هل هي مؤمنة أن وظيفتها هي وظيفة الأنبياء المتمثلة في تجديد صلة الأمة بربها[24]؟ لعمر الله إن هذا لمن أوجب وظائف سني التربص والانتظار لمن عقل.

## 2. *المَعْلَم الثاني: التربية على الانتظار الواثق، مع الاستقامة على المستطاع من الأقوال والأعمال:*

فعدم تحقق غير المستطاع لا يعني ترك المستطاع بل ينبغي أن يُشتغل بالتربية الإيمانية زمن ظلمات الظلم والاعتداء. اسمع إلى هذا الضياء: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر من الآية 97 إلى الآية 99] فلم يقل: نعلم أنك يضيق صدرك، فانظر إليهم الآن وهم تتساقط أجسادهم في مصارعهم.. بل قال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ واليقين هو وعد الله Y القادم؛ إما عقوبة الظالمين، وإما انتصار المؤمنين، وإما وصول الإيمان إلى قلوب المستكبرين، وإما الموت في غير تبديلٍ للحق المبين.

فقد ورد عن سالم بن عبد الله (ت 106هـ) ومجاهد (ت: 103هـ) وقتادة (ت 117هـ) وغيرهم أن اليقين: الموت، وزاد ابن زيد الأمر إيضاحًا، فقال: الموت، إذا جاءه الموت، جاءه تصديق ما قال الله له، وحدّثه من أمر الآخرة[25]، ورأى الماتريدي أن اليقين يحتمل أن يكون ما وعد من العذاب فيهم؛ أي: يتيقنون بذلك[26].

وانظر كيف يبصرنا الله Y بذلك في قوله -تعالى مجده-: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة الآية 214]، بل يعوّدنا على أن نجعل ذلك خطابًا حواريًّا بينا وبين من يستفزُّنا من القوى المعتدية في الزمان والمكان المناسبين: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة الآية 52]، وإنما أكدتُّ على الزمان والمكان المناسبين لأن سورة التوبة نزلت متأخرة حيث كانت عزة الإسلام وقوته، وقد لا يناسب هذا الخطاب مجال الدعوة الهادئة في زمن تغطرس البغي الظالم، بل يناسبهم مثل قول شعيب υ لقومه، وهو يدافع صولتهم الباغية المستكبرة، شاعرًا بالضعف الذي يحيط به وأتباعه: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ

(23) الأنصاري، فريد، الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دولة الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1434هـ، (ص: 51).

(24) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة)، دمشق، ط5، 1414هـ، حديث رقم(3) (404/1).

(25) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (160/17).

(26) الماتريدي، محمد بن محمد، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ، (6/ 470).

كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف الآية 88 إلى الآية 89].

### 3. المَعْلَم الثالث: التربص يقترن بالعمل الدائب والثبات الراسخ:

فهو تربصٌ وانتظارٌ لا يمنع العمل الدائب والثبات الذي يدعو للإعجاب، حيث التمسك بأغصان الإيمان في زمن الأشواك المبثوثة في كل مكان، ويرشدنا الله Y إلى أن نجعل هذا خطابًا إعلاميًّا تعليميًّا فيقول: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود من الآية 121 إلى الآية 123].

شَدَائِدُ يَجْلُوها الإلهُ بِلُطْفِهِ فلا تَأسَ إنَّ الدَّهرَ جَمُّ المَضايِقِ

فمُعْقَبُ سُوءِ الحالِ حسنى وفرحةً وتالي رخاءِ العيشِ إحدى البوائقِ

ورُبَّ أسيرٍ في يدِ الهَولِ مطلَقٌ ومنطلقٌ والدَّهر أسوقُ سائقِ[27]

إنه الانتظار ليومٍ لا ريب فيه ترى فيه مصارع المجرمين، فعندما تدعو على الظالمين في بعض الأحيان المؤلمة، كما دعا موسى υ على فرعون وقومه، لا يعني ذلك أن ينزل النصر المبين في اللحظة والحين، أو أن ينتقم الله Ψ من الظالمين فورًا، ويقول الله Y لك: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم من الآية 58 إلى الآية 60].

### 4. المَعْلَم الرابع: الثبات على الدِّين نصرٌ عظيمٌ فلا تتعجل قطف الثمار:

أليس من الطبيعة الإنسانية أن يتشوف الإنسان لآية بينة تُظهِرُ لعموم العالمين أن هؤلاء الذين يصولون مستكبرين قد خسف بهم؟

انظر إلى هذا الجمع المدهش الرهيب المجرم الموجود ضد العُزَّل في بقاع الأرض، انظر لما حدث للمحاصرَين والمستضعفين ممن تسرق ثرواتهم، وتخطف بناتهم، ويلعب بذرياتهم في مصانع الإذلال الإنساني الدولي.

ولكنك تجد الأمر بالصبر يقترن بالتأكيد على أن وعد الله Y حق، وذلك كله يدلُّ على شدة الزلزلة التي تعتري المستعجلين لقطف الثمر في غير أوانه، كما يدل على كثافة استهزاء المستهزئين، والله Ψ يبين لنبيه -ﷺ- وأمته أن الثبات في ذاته نصرٌ عظيم، ويذكره الله Y بالتغيير القادم لا محالة لكن دون الالتفات إلى استفزازات الشاكين غير الموقنين، فيقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر الآية 77]، فقد تتوفى وأنت لم ترَ ما يُذهب غيظ قلبك من عقوبتهم، أو يملأ نفسك سرورًا ونشوةً من هدايتهم، وبعد هذه الآية في سورة غافر تجد الله تعالى يبين عدم قدرة الرسل -عليهم السلام- على إبراز آيات النصر على المجرمين، أو آيات الحجة على المستهزئين إلا أن يشاء الله Y فيقول:

(27) الأبيات لابن حزم الأندلسي. ينظر: الميورقي، محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1385هـ، (ص: 134).

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [غافر الآية 78 ][28].

## 5. المَعْلَم الخامس: سُنَّة التَّربُّص تقترن بسنة التَّرقُّب:

سُنَّة التَّربُّص يجب أن تقترن بسنة الارتقاب، والله Y يربينا على ذلك، فيقول: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ [الدخان: 58، 59]، ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ﴾ [القمر: 27].

والارتقاب من رَقَبْتُهُ، قيل: أصبت رقبته، ويحتمل عندي أنه من حفظت رقبته[29]، ولذا أحسن ابن فارس (ت395هـ)[30]، حينما بين أن (رقب) تدل على انتصاب لمراعاة شيء، والرقبة تسمى بذلك لأنها منتصبة، والرأس الذي يعلوها يراقب ما حوله، والرقيب أخص من العليم والسميع والبصير، فهو الحافظ المراقب، إمّا لمراعاته رقبة المحفوظ، وإما لرفعه رقبته، والْمَرْقَب: المكان العالي الذي يشرف عليه الرقيب، وقيل لحافظ أصحاب المَيْسر الذين يشربون بالقداح رَقِيبٌ، وتَرَقَّبَ: احترز راقبا، نحو قوله : ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ [القصص الآية 21] أي: ينظر محترزًا محرِّكًا جميع الحواس الأمنية عنده، **والذي يظهر لي أن الرقيب: هو المراقب المترصّد المحصي أفعال من يرقبه، ينتظر الوقت المناسب أو الأجل المسمى ليحدث الأمر المتوقع من غيره، أو ليقوم بالفعل المناسب مع الجهة التي يراقبها،** فالرقابة والترقب تقتضي المتابعة والفحص، وانتظار أمرٍ لا بدَّ من وقوعه خيرًا كان أم شرًا، فالمؤمن يقول لمجرمي قومه: ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم رَقِيبٞ﴾ [هود الآية 93]، أي: انتظروا أن يحلَّ بكم الوعد الإلهي، وأنا سأنتظر ذلك راصدًا حركات الليالي والأيام، قائمًا بالأسباب اللازمة الحكيمة، غير مكذِّب للوعد الإلهي الذي أعلم مجيئه قطعًا، وإن لم أعلم موعده، ومن ذلك قول أَبِي بَكْرٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا -ﷺ- فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»[31]، وقولُه تَعَالَى: ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه الآية 94] أي: لم تحرسه حراسة المدقق الذي يبني الحكم على كل حرفٍ من حروفه، ومن هنا قال ابن القيم (ت 751هـ):

وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَوَاطِرِ واللّوا حِظِ كيْفَ بالأفْعَالِ بالأرْكَانِ[32]

فالدعوة المسلمة المباركة تثب إلى الخلق ببصائر القرآن، والبصائر تصنع أجمل المصاير، ولذا تتحرك في المجال الدنيوي بنظرين عظيمين: نظر إلى ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج، والأصل أن تخضع آليات عمل الدعوات الإصلاحية والتغييرية لهذه المعايير السببية والسننية، ويتوجب محاكمتها وتقييمها إلى هذه المعيارية وإلا أهدرت كل معاني التخطيط والإعداد والأخذ بالأسباب، ونظرٍ آخر إلى الموعود الإلهي القادم من رحم الغيب بعد الإعداد المناسب.

والشعور بالمراقبة الإلهية ظل باقيًا عند الحنفاء من العرب قبل الإسلام، فهذا زهير بن أبي سلمى (ت609م) يقول:

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا في صُدُورِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

(28) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مرجع سابق (53/9).

(29) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق (ص: 362).

(30) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق (2/ 427).

(31) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم (3509)، (1361/3).

(32) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الرحمن العريفي، وآخرون، دار عطاءات العلم – دار ابن حزم، الرياض/ بيروت، ط4، 1440هـ، (ص: 179).

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ[33]

### 6. المَعْلَم السادس: تحطيم صنم الذَّاتية البشرية:

إذ يتشوق المظلوم للانتصار على الظالم، ويبالغ في ذلك حتى ينسى معالم إيمانه وتوحيده، ويعمى عن كون الحكم الكوني بيد الله Y يدبره كيف يشاء، وأن تداول الأيام هو قانون الدنيا، وأن الابتلاء محورٌ للأحداث الحيوية القائمة، وأن الحق لا يكون منتصرًا دائمًا، كما أن الباطل لا يستمر على علوه، وهذا كلام مركز مكثف محوره أن بعض المظلومين الذين يحملون لواء الحق يظنون أنهم لا بد أن ينتصروا لمجرد حملهم للحق، ووقوع الظلم عليهم، والأمر ليس بهذا اليسر، فإن هناك عوامل متعددة تتعلق بتداول الأيام، ومن هذه العوامل: ألا يحول المظلوم المحقُّ نفسَه إلى صنمٍ يعبد نفسه، ويظن أن الكون لا بدَّ أن يتحرك وفق أمره أو مظلوميته، فالإنسان ليس له من الأمر شيء في الأمر الكوني.

وقد ينسى المرء مع تطاول المدى مكانه، وقوته، وقدرته أنه عبدٌ لله يخضع لاختبارٍ دنيويٍّ يصل به إلى مرتبة الفوز في الآخرة، وعند ذلك ربما تعاظم في نفسه؛ إذ يرى نفسه منكسرًا غير منتصر، **فيحدوه ذلك إلى أن يراجع منهجه لا بحثًا عن الأرضى لله Y والأصوب في هدي رسول الله -ﷺ-، بل بحثًا عن الأقرب لرضى القوى المهيمنة، والأنسب لتبوُّء منصبٍ محفوفٍ بالمداهنة وسط الظلم العالمي**، وليكتسب الشرعية المناسبة؛ لذلك يُغيرُ على معالم دينه تغييرًا وتبديلًا في سبيل تحقيق طموحاته الذاتية، والتغيير لمعالم دينه يأخذ درجات من التغيير الجزئي إلى التغيير الكلي، فقد يدفعه الضيق من الأوضاع القائمة إلى الإلحاد، فهذا أنموذجٌ للتغيير الباطل بسبب التعجُّل وعدم التربُّص، ويقابل ذلك أن يضيق المرء ذرعًا بعدم نزول النصر الذي يتوقعه فيدفعه ذلك إلى الانتحار.

والفوز الكبير لا يكون بالمداهنة، ولا بتضخم الذات حتى يجعل المرء نفسه محورًا لتغيير الحياة لتوافق طموحاته الشخصية،الفوز الكبير يتحقق بالثبات في المبادئ، وإن اكتسبت الوسائل المرنة المشروعة، ولتنظر إلى قصة أصحاب الأخدود حيث يموت الأبرياء حرقًا أمام ضحكات وحوش البشر، فيذكر الله Y فوز المظلومين، ويرغِّب الظالمين في تغيير مواقفهم فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: من الآية 10 إلى الآية 11].

**تلاحظ أن المؤمنين من أصحاب الأخدود أُحرِقوا ولم يتمكنوا في الدنيا، فهل هذه هزيمة؟!**

لا بد من تصحيح معيار الانتصار، قد قرر الله Y هذا القانون الخطير الذي يبين لك طبيعة أحداث الدنيا، فيقول –جل مجده-: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران الآية 140]، والعربي يفهم معنى كلمة (يعلم) هنا بأن المراد بها حسب سياقها، فالمراد بها عِلْم ظهور ووقوع، وإلا فإن الله Y يعلم ما كان وما يكون[34].

وبيَّن الله Y علو الكافرين وتقلبهم في البلاد في خضمِّ التجاذبات الهائلة لهم مع أهل الحق، وفي خضمِّ حملتهم المستعرة لاضطهاد الصادقين، فقال سبحانه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران من الآية 196، إلى الآية 197].

(33) ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ(ص: 107).

(34) ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ، (407/1).

كما بين Ψ تعدد مظاهر الإيذاء الذي تجتمع عليه القوى المعتدية على الأبرياء فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران الآية 186].

فهيّئ من خواطرك قليلًا حتى لا تصبح العاطفة العاصفة الصادقة المطلوبة يأسًا، فالله Y قدر تداول الأيام، واعلم أن أعمار الأمم لا تبنى على الأعمار الفردية، فقد مات عدد كبيرٌ من الصحابة ψ ولم تقرَّ أعينهم بفتح مكة.

### 7. *المَعْلَم السابع: سُنَّة التَّربُّص تقترن بسنة الأجل المسمى عند الله: تَذَكُّرُ القدرة الإلهية العظيمة التي حدَّدت الآجال ضمن أوقات لا يمكن تقديمها ولا تأخيرها، سوء أكانت آجال نزول الغيث، أم آجال الانتصار، أم آجال نزول العذاب:*

فالله –تعالى مجده- يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف الآية 34]، ومهما كانت مكانة المصلح أو عبادته فإن الحكم الكوني بيد الله Ψ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس من الآية 48 إلى الآية 49]، وتصوُّرُ حصولِ خلاف ذلك "يقتضي تعطيل دواليب كثيرة من دواليب النظام الفطري العام، وذلك لا يريد الله تعطيله لما يستتبع تعطيله من تعطيل مصالح عظيمة"[35]، وهنا يذكِّرك الله Y بأن كل ظالم لو عُوقب بمجرد ظلمه لباد من على الأرض: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل الآية61]، فالله Y بصير بما يحدث على الأرض، إلا أن شأن الظالمين أقل من أن يَتَحَدّوا أرحمَ الراحمين ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ [فاطر الآية 45].

### 8. *المَعْلَم الثامن: معرفة حقيقة الإيمان، ومعرفة حقيقة الدنيا، فالانتصار على الظالمين ليس مطلوبًا أصليًّا لذاته في الدنيا، لكنه مطلوب عَرَضي لحقيقة التدافع التي تمنع الفساد في الأرض، ولحقيقة الثبات على الإيمان، حتى يتم الفوز الحقيقي في الآخرة:*

فالله Y يأمر عباده بالإيمان والعبادة، وانظر كيف حدثت الانتكاسة في أُحُدٍ لأدنى مخالفةٍ وقعت من بعض الصحابة ψ، فاشترك في المسؤولية عنها الجميع، وخاطب الجميع، ثم بيَّن الله تعالى ذكره أن من أهم حِكَمِ هذا الانكسار الإظهار الواقعي لمن يثبت على مقتضيات الإيمان، ثم حثُّهم على الإيمان مع أنهم مؤمنون فقال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران الآية 179]، وتأمل في الآية فهو يخبرهم أن تميُّزَ الخبيث من الطيب يتحقَّق خلال صهر الأحداث الواقعية في الحياة، حينها تستبين خباياها، وتنكشف عماياها ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء الآية 39].

فإذا قلَّبت الطرف تجد ربنا –جل مجده- يأمر المؤمنين بالإيمان، وهذا شيءٌ مدهش! فاسمع إلى الله جل في علاه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن

(35) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (190/14).

قَبۡلُۚ﴾ [النساء الآية 136]، وكأن معنى طلب الإيمان من المؤمنين أن يحقِّقوه، وينتبهوا لمقتضياته التي قد تضلهم عنها تقلب الحياة، وعبث الشياطين، وظلم الظالمين، وعدم حيازة النصر المبين في الوقت الذي يستغيث فيه المستغيثون.

لقد لفت إلى هذا القانون الكلي المحقِّقون السابقون، فها هو الشاطبي (ت 790ه) يقرر –على طريقته- أن "المصالح المجتلبة شرعًا، والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية، والدليل على ذلك أن الشريعة إنما جاءت لتُخرِج المكلفين من دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادًا لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون الآية 71]"[36].

فهل تعلم ما الذي يولِّده الاعتقاد بضرورة الانتقام من الظالمين حالًا؟ وما الذي ينتج عن الاعتقاد بحتمية نصرة المستضعفين فورًا؟

الجواب: توقع أحد أمرين:

إما اليأس الذي قد يدفع الإنسان إلى الانتحار، وإما اليأس الذي قد يدفعه إلى الإلحاد.

فعندما لا ترى الانتصار الفوري على الظالمين، وأنت تظن أنه لا بد أن يحدث، وترى أنين المظلومين يشق أرجاء الفضاء، ويتعالى حيث تحجزه الجدران القاسية، ويذهب هباءً مع التعذيب المستمر، عندما تشعر بذلك ربما قذف الشيطان في قلبك أنه ليس هناك ربٌّ يسمع هذه الصرخات، وعندها يتدرج بك الشيطان إلى الإلحاد، وربما نازعتك فطرتك السليمة هناك فيحدث لك زلزالٌ نفسي رهيب نتيجته الانتحار إن لم يكن الإنكار لقوة الواحد القهار.

### 9. *المَعْلَم التاسع: التربص يقتضي ألا تنتظر الخوارق، بل أن تعمل بما يجب عليك من الواجبات البوارق: فالله Y يقول:*

*﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق الآية 45]:*

فالتربص يقتضي اليقين بملك الله Y للسماوات والأرض: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة من الآية 106 إلى الآية 107]، فبعد أن أثبت الله Y لنفسه صفة القدرة المطلقة، وصفة الملك الشامل، وصفة الفعل المطلق، فلا يمكن للبشر أن يصنعوا شيئًا إن أراد بهم ضرًا هنا قال الله Y: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة الآية ١٠٨]. إن أسوأ ما في انتظار الخوارق تعطيل الطاقات، والبقاء دون حراك، إنه أخو الموت، إن لم يكن الموت ذاته.

وقد تتساءل: لماذا جاءت هذه الآية في هذا الموضع بعد تلك الصفات؟

الجواب: من أسباب مجيء هذه الآية: بيان أن موسى υ اعتُرِض عليه في الأمور التشريعية: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ [البقرة الآية 67]، وطُلب منه المعجزات الخارقة:، وكل ذلك لم يفعله من عند نفسه وإنما بأمر ربه Y في الوقت الذي يشاؤه ربه، فلا تنتظر الخوارق؛ لأن الله Y لم يأمرك بذلك.

وتصور الأمر والله Ψ يقول لك: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾ [المائدة الآية 40] والجمال كل الجمال هنا أن يذكِّرك الله Y بهذه الحقيقة التي تملأ قلبك بالسكينة، ثم يهوّن عليك بعد ذاك أن يسارع المسارعون في الكفر فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة الآية 41]، ومثل ذلك في عظمة الآيات وتلألئها قول ربك تعالى جده: ﴿أَلَمۡ

(36) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1417ه، (63/2).

تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج الآية 70] هنا ترى الآيات تضمك بحنانها وحقائقها، فبعد أن تتيقن من حكم الله Y وملكه وعلمه، ينبغي أن تتذكر أنه يعلم بعباداتهم الوثنية، وطاغوتيتهم المفرطة، وتعلم أيضًا بشدة عدوانهم على من يتلو الآيات: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ﴾ [الحج من الآية 70 إلى الآية 72].

فَلِمَ الإصرار على الفوز العابر الصغير في الدنيا، وجعله دليلًا على أن المبدأ الذي تسير عليه هو الحق؟! أولم تر أن الأنبياء -عليهم السلام- صفوة الخلق قد قتلوا في سبيل الثبات على الحق حتى وصف الله Y أفعال المجرمين معهم فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة الآية87].. فلماذا علقت الثقة بالمبدأ الذي أنت عليه بالانتصار العاجل الصغير في الدنيا؟

إن الانتقام من الظالمين ليس أمرًا حتميًّا في الدنيا، بل في الآخرة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم الآية 42]، ولما طلب الصحابة ψ من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو لهم وينقذهم من البطش القرشي المستمر،أجابهم بأن يصبروا ولا يستعجلوا، فعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ -رضي الله عنه- (ت 37هـ) قال: شكونا إلى رسول الله -ﷺ- وهو متوسد بُردةً له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فَيُجاءُ بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت؛ لا يخاف إلا اللهَ، أو الذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[37].

هنا تدرك أن الدنيا مهما رأيت فيها لا تساوي شيئًا أمام الإرادة الإنسانية التي تصر على أن تثبت على الحق حتى تلاقي ربها، فهدئ من إصرارك على ضرورة التغيير السريع، وقل كما قال شعيب υ من قبل: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود الآية 93].

وأعد التأمل والنظر في سورة هود υ لتتعرف إلى وجهٍ من أوجه جلالتها، وسببٍ من الأسباب التي دعت النبي -ﷺ- إلى أن يقول: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلاَتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾»[38]؛ إذ يقول الله Y فيها: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴿١٢٢﴾﴾ [هود من الآية 121 إلى الآية 122]، ثم يقول: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [هود الآية 123]، فالله Y بيده الأمر وله الحكم، ولذا لا ينبغي أن يشتغل المرء بالدعاء على الظالمين –وإن فعل ذلك أحيانًا-، بل ينبغي أن يحرّك قلبه وعقله بفعل الواجب عليه، كما قال تعالى ذكره: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ

(37) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم(3416) (1322/3).

(38) أخرجه الترمذي، وقال: "حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه". ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الإمام الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1395هـ، حديث (3297)، (402/5)، وقال السخاوي: " وهو مرسل صحيح، إلا أنه موصوف بالاضطراب، وقد قال الدارقطني في ذكر علله، واختلاف طرقه في أوائل كتاب العلل –ونقله حمزة السهمي عنه–، أنه قال: طرقه كلها معتلة، وأنكره موسى بن هارون الحمال على تمام، وفيه نظر؛ فطريق شيبان وافقه أبو بكر ابن عياش عليها، كما أخرجه الدارقطني في العلل، وقال ابن دقيق العيد في أواخر الاقتراح: إسناده على شرط البخاري". ينظر: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ، (ص 411).

ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران الآية 128]: يتوب عليهم أو يعذبهم في الوقت المناسب، وهنا يقول Y: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود الآية 123] ليس بيديك أنت، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود الآية 123].

ويقرِّر الله Y حقيقة الدنيا في سورة الزخرف، ثم يربط ذلك كله بمسألة الانتقام من الظالمين، فيقول: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ [الزخرف الآية 33] كأنه يقول: لولا أن سنتي جرت بالتفاوت بين الناس وإلا لجعلت كل كافر يملك البيوت المشيدة من الذهب والفضة، ولكن جرت سنتي أنه لا بد من تفاوت في الطبقات بين الأغنياء والفقراء من أجل الاختبار والابتلاء، ثم قال الله Y بعد ذلك: ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ [الزخرف الآية 35]، ثم قال بعدها بآيات: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ﴾ [الزخرف من الآية 41 إلى الآية 42] أي: قد ترى الانتصار للمظلومين، وتقر عيناك بعقاب الظالمين، وقد لا ترى ذلك، وكم مات من الصحابة ψ وهم لم تكتحل أعينهم بانتصار المسلمين، لكن الله Y أقر أعينهم بثباتهم على الدين، فحمزة -رضي الله عنه- (ت 3هـ) رأى ما تقرُّ به عينه في بدر، فكيف تراه أحس عندما رأى بدايات ما حدث للمسلمين في أُحُد مع أنه ينبغي أن تقرَّ عينه -رضي الله عنه- عندما وجد مس الشهادة ...﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ٤٢﴾ [الزخرف من الآية 41 إلى الآية 42].

وفي قوله Y : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة من الآية 28، إلى 30] ﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾: قيل: بأنه فتح مكة[39]، وقيل: هو الفصل بين المسلمين وأولئك المجرمين يوم القيامة، إذ يقول ربنا: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ [السجدة الآية 29][40]، وقد يطلق على وقت نزول العذاب فورًا كما حصل لفرعون، وهذا السؤال المستفز: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [السجدة الآية 28] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل الآية 71]، ويهدِّئ الله I الروعات بتلقيننا الجواب عليه: ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٧١ يَوۡمَ

(39) ذكر هذا القول الإمام الطبري، واعترض عليه بقوله: "ولا شكّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: (متى هذَا الفَتْحُ) على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله"، ورجَّح أن يكون المعنى: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب. وضعَّف ابن عطية –أيضًا– القول بأنه فتح مكة، بنحو ما قاله الطبري، ثم قال:" فلم يبق إلا أن يكون الْفَتْحُ إما حكم الآخرة، وهذا قول مجاهد، وإما فصل في الدنيا كبدر ونحوها"، واعترض أبو حيان على أن يكون المراد به يوم بدر، بأنه لا يطابق ما بعده، فقد آمن بعضهم ونفعهم الإيمان. ينظر: الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (198/20)؛ ابن عطية، محمد عبد الحق. (1422).المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، (366/4)؛ أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، (442/8).

(40) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ، الطبعة: الثالثة، دار الريان للتراث بالقاهرة/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، (517/3).

يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء من الآية 51 إلى الآية 52]، فجعل الفتح الحقيقي يوم القيامة، بمعنى أنه قد لا يحصل في الدنيا، إنها سُنَّة التَّربُّص المطمئنة للنفوس، المعالجة لأزمات القلوب في القرآن الكريم، ويقول الله Y عن ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [يونس من الآية 48 إلى الآية 49]، وغيرها من الآيات.

ولذا لا عجب في أن يَرُدَّ النبي -ﷺ- على من يستفزه من المشركين بذكر يوم القيامة مطمئنًا: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [يس من الآية 48 إلى الآية 50] فموعدهم يوم يأتيهم الموت، لم يعدهم بأن يأتيهم العذاب الذي يزلزل غرورهم وكبريائهم وخيلائهم، نعم قد يأتي ذلك، لكنه ليس مقصودًا في ذاته، وتأمل هذا المعنى المجيد في قول الله –جل مجده- ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد الآية 31].

**فلا تظنَّ أنه يجب على الله Y أن يقيم لك المجد الدنيوي ودولة الكرامة الإنسانية في الدنيا لمجرد اتباعك الأسباب المادية أو حتى لاتباعك بعض الأسباب الشرعية،ألا ترى أن بعض الأنبياء مات وهو في بلاء من عصيان قومه الفاسقين حيث يتيهون في الأرض، والله Y يقول له:** ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ **[المائدة الآية 26].**

ألم تسمع أن نوحًا υ لبث ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو لم ير فجر الانتقام من المجرمين إلا بعد هذه المدة المتطاولة؟ ألم تسمع دعاء موسى υ بحرارة شديدة يقول لربه Y: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس الآية 88] فيبين الله Y له أنه أجاب دعوته، ولكن ليس فورًا فقال: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس الآية 89]، فجعل الاستقامة هي عين الفوز، وأعظم المجد والكرامة،ولم يجعل إجابة الدعاء بالانتصار الفوري مع أن موسى υ كان صاحب معجزات مادية مشهورة.

أما كان يمكن لعصاه أن تلقف فرعون كما لقفت ما يأفك سحرته؟ حتى ذكر بعض المفسرين أنه كان بين دعوة موسى υ وتحقق الإجابة أربعين عامًا[41]، وحسبك أن الله Y وعد المظلوم بالنصر، لكن ذلك قد يحدث فورًا، وقد يحدث بعد حين، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- (ت 57هـ) قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب Y: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»[42].

(41) ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، السعودية، 1419هـ، (1980/6)؛ الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ، (145/5)؛ الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (294/17)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (291/4).

(42) أخرجه أحمد، وقال محققو المسند: "صحيح بطرقه وشواهده" وحسّنه الوادعي. ينظر: حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، حديث رقم (8043)، (410/13)؛ الوادعي، مقبل بن هادي، الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين. صنعاء، دار الآثار، صنعاء، ط4، 1428هـ، (366/2).

### 10. المَعْلَم العاشر: اقتران سنة الانتظار والترقب والتربص بالتولي عن ترهات الفاسقين واستفزازتهم، والإعراض عن قبح ألفاظهم ولؤمهم، وهجران باطلهم:

وذلك كله لا يعني ترك موعظتهم وتذكيرهم مع جعل التركيز الأكبر تعاهد المؤمنين ليزدادوا ثباتًا، ولذا يأمرك الله Y أيها المحب لهداية الخلق بالتولي عن ردود الفعل المتشنجة أمام مؤامراتهم وانفعالاتهم، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤﴾، ثم أمره بالتركيز على تذكير المؤمنين، فقال: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات من الآية 52 إلى الآية 55]، وأمره ألا يقتل نفسه غمًّا أمام عنادهم وتكذيبهم للحق المبين، بل أن يتولى عنهم، فقال: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾، ثم ذكَّره بالقيامة التي يكون فيها يوم الفصل، فقال: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر من الآية 3 إلى الآية 6]، وذكَّره بأن الفصل الحقيقي بين الأنبياء -عليهم السلام- ومجرمي العالم من المكذبين إنما يكون إذا قامت الساعة فقال: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات من الآية 11 إلى الآية 15].

وقد أمر الله Y نبيه -ﷺ- بالإعراض عن أقوام شتى، منهم:

1) المشركون: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر من الآية 94 إلى الآية 95].

2) الجاهلون، وهو وصف يشمل جفاة المسلمين أنفسهم: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف الآية199].

3) الدنيويون عَبَدَة المصالح الضيقة: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النجم الآية 29].

4) المنافقون مع عدم إغفاله لاستمرار دعوتهم بالقول البليغ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء الآية63].

5) المتآمرون مع أخذ الحذر والتوكل على الله Y، كما في سياق سورة النساء: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء الآية81].

6) الخائضون في آيات الله I مع بقاء مخالطتهم عندما يتمكن من تذكيرهم بما ينفعهم: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام الآية 68].

كما أمره الله Ψ أن يهجر أقوالهم هجرًا جميلًا ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل الآية 10]، والهجر الجميل هو الذي لا عتاب معه، فيتسامى السالك في طريق العبودية أن يردَّ على كل فعلٍ قبيح بمثله، أو يردَّ على كل سوء في كل لحظة، ولذا علَّم الله -تعالى جده- نبيه -ﷺ- الإعراض، كما لا يعني عدم المخالطة، فهو لا يعني التنازل والمداهنة فقال: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام الآية 106]، ولو تدبرت ما سبق لم تجد الإعراض موقفًا سلبيًا انسحابيًّا هروبيًّا بقدر ما هو تعامل إيجابيٌّ مبادِر مع أصناف وظروف ليس أنسب من الإعراض الموجه سبيلًا لمواجهتها والتعامل معها.

لقد استقرت سنة الانتظار والتربص في إدراك الصالحين لحركة الكون ولذا يعلم الله –تعالى ذكره- نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يردِّد دعاء رائعًا يضمنه هذه السُّنَّة، فيقول: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فتراه يبين في دعائه أنه قد يرى ما يُوْعَد به هؤلاء الظالمون، ولكن رؤية مصيرهم من عدمه ليست هي الحياة التي لا بد منها، بل الحياة الحقيقية ألا يكون الإنسان جزءًا من برامجهم المجرمة ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾، ويذكِّر الله I عبده المنيب -ﷺ-بالقدرة الإلهية غير المحدودة فيقول: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾، ثم يبين له كيفية التعامل الأمثل أمام الظالمين لاستيعاب المرحلة ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون من الآية 93 إلى الآية 96].

ولنختم هذه التأملات بهذه الآيات المدهشة في تقرير هذه السُّنَّة ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات من الآية 171 إلى 173]، لكنه قال بعد ذلك: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾ [الصافات من الآية 174 إلى الآية 179].

## 6. المبحث الثالث: الآثار المترتبة على استيعاب سُنَّة التَّربُّص والقيام بوظائفها

إن إدارة سُنَّة التَّربُّص والانتظار وفق المعالم المبينة آنفًا من شأنه أن يثمر النتائج الباهرة، ويعين جموع المؤمنين على تجاوز هذه المرحلة بأقل خسائر ممكنة، وحصول الآثار الحميدة، وهذه بعض الآثار المترتبة على الأخذ بسُنَّة التَّربُّص والانتظار:

### *1. الأثر الأول: امتلاء قلب العبد بالطمأنينة والسكينة أمام الأحداث العاتية:*

إنَّ استشعار أن نصر الله Y آت، وفَرَجَه قريبٌ يجعل المرء مطمئنًا راضيًا محتسبًا، لأنه متيقن أن العاقبة للمتقين، وكيف لا تطمئن نفوسهم، وهم يعلمون أن تربُّصَهم وانتظارهم يضمن لهم إحدى الحسنيين، بخلاف المنافق الذي لا يرجع إلا بالخيبة والخزي، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[التوبة الآية 52]، وقد قارن الرازي -رحمه الله- (ت606هـ) بين تربص المؤمن وتربص المنافق مقارنة فائقة الحسن والروعة، فقد ذكر: "**أن المسلم** إذا ذهب إلى الغزو، فإن صار مغلوبًا مقتولًا فاز بالاسم الحَسَن في الدنيا، والثواب العظيم الذي أعده الله Y للشهداء في الآخرة، وإن صار غالبًا فاز في الدنيا بالمال الحلال، والاسم الجميل، وهي الرجولية والشوكة والقوة، وفي الآخرة، بالثواب العظيم[43].

**وأما المنافق** إذا قعد في بيته فهو في الحال في بيته مذمومًا منسوبًا إلى الجبن، والفشل، وضعف القلب، والقناعة بالأمور الخسيسة من الدنيا...وفي الآخرة إن ماتوا فقد انتقلوا إلى العذاب الدائم في القيامة، وإن أذن الله Y في قتلهم وقعوا في القتل والأسر والنهب، وانتقلوا من الدنيا إلى عذاب النار، فالمنافق لا يتربص بالمؤمن إلا إحدى الحالتين المذكورتين، وكل واحدة منهما في غاية الجلالة والرفعة والشرف، والمسلم يتربص بالمنافق إحدى الحالتين المذكورتين، أعني البقاء في الدنيا مع الخزي والذل والهوان، ثم الانتقال إلى عذاب القيامة والوقوع في القتل والنهب مع الخزي والذل، وكل واحدة من هاتين الحالتين في غاية الخساسة والدناءة".

فأي الفريقين أحق بالأمن والراحة والسكينة والطمأنينة إن كنتم تعلمون؟

(43) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق،(67/16، 68).

### 2. الأثر الثاني: جلب السعادة واليقين بتغيير الواقع المرير:

قد تقرر –آنفًا- أن التربص والانتظار يأخذ بُعْدًا إيجابيًا دافعًا للعطاء ومواصلة الكفاح لتحقيق أمر الله Y الكوني والشرعي على الأرض، وهذا بحدِّ ذاته مدعاة لملء النفس بالسعادة والسرور؛ ذلك أن المرء يوقن بأنه على طريق سالكة، ومحجة بينة جالبة للخير الشامل العام برُّهُ للحياة والأحياء، وهل من شعور أرقى وأسمى وأنبل من هذا؟!

عندما يتيقن العبد أن العاقبة له، فإنه تهون عليه الخطوب، وتغمر قلبَه السعادةُ؛ لأنه يعلم أن الله Y" قد كتب للمؤمنين النصر، ووعدهم به في النهاية، فمهما يصبهم من شدة، ومهما يلاقوا من ابتلاء، فهو إعداد للنصر الموعود، لينالوه المؤمنون على بينة، وبعد تمحيص، وبوسائله التي اقتضتها سنة الله نصرًا عزيزًا، لا رخيصًا، وعزة تحميها نفوس عزيزة مستعدة لكل ابتلاء، صابرة على كل تضحية"[44].

### 3. الأثر الثالث: استجلاب نصر الله القريب:

فمن أهم الآثار المترتبة على أخذ المؤمنين بسُنَّة التَّربُّص بحقِّها، وقيامهم بمقتضاها أن العاقبة تكون لهم، وأن النصر حليفهم، وإن طال انتظاره، فقد سبق ذكر أن موسى υ عندما دعا على فرعون وملئه بأن يهلكهم، لم يُستجب له إلا بعد أربعين سنة، ولهذا نجد موسى υ يذكِّر قومه عندما خافوا من بطش فرعون ومن معه بأن يصبروا وأن يوقنوا بأن العاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف الآية 128]، بل إن الله تعالى أمر نبيه -ﷺ- أن يصبر مذكِّرًا له بأن العاقبة للمتقين، وذلك بعد أن أخبره بقصة نوح υ، وكيف كانت له العاقبة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۛ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود الآية 49]، أي " إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله Y، فأدَّى فرائضه، واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يؤمّلون من النعيم في الآخرة، والظفر في الدنيا"[45]، وأشار الزمخشري -رحمه الله-(ت 538هـ) إلى الربط بين الصبر وتوقع العاقبة وبين النصر، حيث قال:" فَاصْبِرْ على تبليغ الرسالة وأذى قومك، كما صبر نوح υ وتَوَقَّعْ في العاقبة لك ولمن كذَّبك نحو ما قيض لنوح υ ولقومه، ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ في الفوز والنصر والغلبة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾"[46].

بل إن الفتح الذي استعجله المشركون، حين قالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[السجدة الآية 28]، "المراد به نصر أهل الإيمان بظهور فوزهم، وخيبة أعدائهم؛ فإن خيبة العدو نصرٌ لضدِّه، وكان المسلمون يتحدون المشركين بأن الله Y سيفتح بينهم وينصرهم وتظهر حجتهم، فكان الكافرون يكرِّرون التَّهكُّم بالمسلمين بالسؤال عن وقت هذا الفتح استفهامًا مستعملًا في التكذيب حيث لم يحصل المستفهم عنه"[47].

### 4. الأثر الرابع: الأجر المترتب على الانتظار وعدم التضجُّر:

لقد استشعر الصابرون عظم الثواب، والأجر المترتب على هذا التَّربُّص والانتظار، الذي لا يصحبه ضجر ولا استعجال، فها هو زَيدُ بنُ صُوحَانَ -رضي الله عنه-(ت 33هـ)، أُصِيبَتْ يده في بعض فتوح العراق، فتبسَّم والدِّماء تَشْخُبُ، فقال له رجل من قومه: ما هذا موضع تبسم فقال زيد -رضي الله عنه-: «أَلَمٌ حَلَّ هَوَّنَهُ ثواب الله عليه، أَفَأَرْدُفُهُ بِأَلَمِ الجزع الذي لا جدوى فيه، ولا دَرِيكَةَ لفائت معه؟ وفي تبسمي عَزِيَّةٌ لبعض المؤتسين من المؤمنين»[48].

فيا لقومي: إن في سنة التربص والانتظار كنوزًا من الأجور مخبوءةً لمن احتسب، ورابط على الثغر، ورفعة للدرجات عند الله لمن وَثِقَ بما عنده، وتمسَّك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم

(44) قطب، سيد، في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ، (1664/3).

(45) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (356/15).

(46) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق،(401/2).

(47) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (242/21).

(48) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، الصبر والثواب عليه. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ، (ص71).

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة الآية 256].

## 5. الأثر الخامس: الحكمة المؤدّية للحفاظ على الإنجازات المتحقّقة وعدم التهوُّر المؤدّي إلى فقدانها:

للتربص والانتظار، والتريث وعدم التهور والاستعجال أثر كبير في المحافظة على ما تمَّ إنجازه من المكتسبات الحضارية، والإنجازات الحيوية التي كانت ثمرةً لجهد وعمل دائبين، فقد استطاع النبي -ﷺ- أن يحقِّق –وهو مازال في الفترة المكية- أهدافه الاستراتيجية التي رسمها بفضل صبره، وتربُّصِه المبصر، الواثق بنصر الله Y، فقد حقَّق في هذه الفترة مستوى لا بأس من الاستخلاف في الأرض "عبر التحقُّق بالعبودية الخاشعة لله تعالى، على مستوى السعي للترقِّي المعرفي، والترقِّي الروحي، والترقِّي السلوكي، والترقِّي العمراني أو الحضاري عمومًا"[49].

وكان من الاستراتيجيات التي اتبعها النبي -ﷺ- للمحافظة على ما تم إنجازه الكفُّ عن القتال، والأمر بالصبر والإعراض عن المشركين في الفترة المكية، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾ [النساء الآية 77]، فقد أورد الطبري (ت 310هـ) عدة روايات تبين المراد بهؤلاء القوم الذين ذكرتهم الآية، فعن عكرمة (ت 104هـ)، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (ت 68هـ): أن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- (ت32هـ) وأصحابًا له أتوا النبي --ﷺ- فقالوا: يا رسول الله، كنا في عِزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنَّا صرنا أذِلَّة! فقال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا». فلما حوَّله الله Y إلى المدينة، أُمر بالقتال فكَفُّوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾"، الآية، وعن قتادة -رحمه الله-: "كان أناس من أصحاب رسول الله -ﷺ-، وهو يومئذ بمكة قبل الهجرة، تسرَّعوا إلى القتال، فقالوا لنبي الله -ﷺ-: ذَرْنا نتَّخذ مَعاول فنقاتل بها المشركين بمكة! فنهاهم نبي الله -ﷺ- عن ذلك، قال: لم أُومر بذلك. فلما كانت الهجرة، وأُمر بالقتال، كره القوم ذلك، فصنعوا فيه ما تسمعون، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء الآية 77]"[50].

فالنبي -ﷺ- كان يتحرَّك في إطار سُنَن الله Y في خلقه، وكان على وعيٍ تامٍّ بأن انزلاق الدعوة في بدايات تكوينها نحو تبني أسلوب العنف في مواجهة الضغوط والتحديات معناه تمكين القوى المضادة من استئصال شأفتها، بحكم اختلال ميزان القوى بينهما بشكل كامل[51]. (برغوث،)، وبهذا تفقد الدعوة ما اكتسبته من منجزات في الفترات السابقة، وهذا أثر مهم من آثار هذه السُّنة في تداول الأيام والنهوض بالأمم، ذلك "أن إشعال الحرب أمر سهل، لكن كسبها ليس كذلك.. شأن كل من يشعل حربًا دون التخطيط لوسائل كسبها، ومن يقف بنظره عند أفق البدايات وينسى العواقب والنهايات، فينتهي جهده بإثارة العدو لينهش جسد الأمة أكثر، بدلًا من قهره وتخليص الأمة من شره"[52]، وهو الدرس الذي يحتاجه الأغرار ممن يوردون أنفسهم ومن يلونهم مسالك الهلكة، وصفقات البور.

(49) برغوث، الطيب، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، هيرندن، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ، (ص271).

(50) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (8/ 549، 550).

(51) برغوث، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة، مرجع سابق، (ص 365، 366).

(52) الشنقيطي، محمد بن المختار، الحركة الإسلامية في السودان: مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي، مركز صناعة الفكر للدراسات والتدريب، بيروت، ط1، 1432هـ، (ص: 51).

## 7. الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أسجل أهم النتائج التي توصل إليها:

- ليس المراد بالتربُّص مطلق التمهُّل والانتظار، بل هو ترقُّبٌ خاصٌّ لانتهاء مرحلة الضعف السائدة، وصبرٌ على الواقع القدريّ دون تنازلٍ أو مداهنةٍ أو تعجُّل.
- من أهمِّ معالم التربُّص في القرآن الكريم، التربية على الذِّكر والصبر وعدم التخلي عن المبادئ، والانتظار الواثق من مجيء يوم التغيير، وأن للأمم آجالًا، وللنصر سننًا، وهي لا تعرف المحاباة.
- ومن أهم معالم سُنَّة التَّربُّص –أيضًا–: تربية الفرد والمجتمع المسلم على عدم انتظار الخوارق، والتعلُّق بالأوهام في تغيير الواقع المرير دون الأخذ بالأسباب، والقيام بالواجبات الفردية والجماعية التي تصنع الأمجاد.
- ذكر البحث بعض الآثار المترتبة على سُنَّة التَّربُّص كامتلاء قلب العبد بالراحة والطمأنينة والسكينة أمام الأحداث العاتية، وجلب السعادة واليقين بتغيير الواقع المرير، واستجلاب نصر الله القريب، والأجر المترتّب على الانتظار وعدم التَّضجُّر، والحفاظ على الإنجازات المتحقِّقة وعدم التهوُّر المؤدي إلى فقدانها.

ويوصي البحث بدراسة منظومة السُّنَن الإلهية المتعلِّقة بتداول الأيام، وهلاك الأمم، والبناء الحضاري، للخروج برؤية قرآنية لمواضع الخلل والقصور التي حلَّت بأمَّتنا، ووضع الحلول المناسبة لها في ضوء المعارف التي أشرقت بها البصائر القرآنية، وقد يتطلب ذلك إنشاء مراكز أبحاث تُعنى برصد هذه السنن، وتفيد من التجارب الناجحة التي تجاوزت مراحل الضعف، ووصلت إلى مراحل متقدمة في التقدم الرقي الحضاري.

## 8. المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. الأزهري، محمد بن أحمد. (1421). *تهذيب اللغة*. بيروت، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي.

2. أبو حيان، محمد بن يوسف. (1420). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت، دار الفكر.

3. الأصفهاني، الحسين بن محمد. (1412). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق/ بيروت، الطبعة: الأولى، دار القلم، الدار الشامية.

4. الأنصاري، فريد. (1434). *الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دولة الإسلام*. القاهرة، الطبعة: الثانية، دار السلام للطباعة والنشر.

5. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1414). *صحيح البخاري*. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دمشق، الطبعة: الخامسة، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق.

6. برغوث، الطيب. (1416).*منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية*.هيرندن، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

7. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. (1419). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: أسعد محمد الطيب. السعودية، الطبعة: الثالثة،مكتبة نزار مصطفى الباز.

8. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد. (1418). *الصبر والثواب عليه*. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. بيروت، الطبعة: الأولى، دار ابن حزم.

9. ابن أبي سلمى، زهير. (1408). *ديوان زهير بن أبي سلمى*. شرحه وقدم له: علي حسن فاعور. بيروت، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية.

10. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1422). *جامع الرسائل*. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. الرياض، الطبعة : الأولى، دار العطاء.

11. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1425). *مجموع الفتاوى*. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه. المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

12. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (1422). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي.

13. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر. (1326). *بلاغات النساء*. صححه وشرحه: أحمد الألفي. القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول.

14. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1414). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*. تونس، الدار التونسية للنشر.

15. ابن عطية، محمد عبد الحق. (1422).*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية.

16. ابن فارس، أحمد بن فارس. (1399). *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الفكر.

17. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (1440). *الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية*. تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الرحمن العريفي، وآخرون. الرياض/بيروت، الطبعة: الرابعة، دار عطاءات العلم – دار ابن حزم.

18. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. الرياض، الطبعة: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع

19. ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414ه). *لسان العرب*. بيروت، الطبعة: الثالثة، دار صادر.

20. الترمذي، محمد بن عيسى. (1395). *جامع الإمام الترمذي*. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون. القاهرة، الطبعة: الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

21. الثعلبي، أحمد بن محمد. (1422). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. بيروت، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي.

22. جبل، محمد بن حسن. (1431). *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. القاهرة، الطبعة: الأولى، مكتبة الآداب.

23. حنبل، أحمد. (1421). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون. بيروت، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة.

24. الرازي، محمد بن عمر. (1420). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. بيروت، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي.

25. رضا، محمد رشيد. (1410). *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

26. الزمخشري، محمود بن عمر. (1407).الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة/بيروت، الطبعة: الثالثة، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي، بيروت.

27. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. (1405).*المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة*. تحقيق: محمد عثمان الخشت. بيروت، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية.

28. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1417). *الموافقات*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. القاهرة، الطبعة: الأولى، عالم الكتب.

29. الشنقيطي، محمد بن المختار. (1432). الحركة الإسلامية في السودان: مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي. بيروت، الطبعة الأولى، مركز صناعة الفكر للدراسات والتدريب.

30. الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: محمود محمد شاكر، إلى نهاية الآية ٢٧ من سورة إبراهيم. مكة المكرمة، دار التربية والتراث.

31. الطِّيبي، الحسين بن عبد الله. (1434). *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)*. تحقيق: د. جميل بني عطا. دبي، الطبعة: الأولى، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

32. العسكري، الحسن بن عبد الله. (1412). معجم *الفروق اللغوية*. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي .قُم، الطبعة: الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قُم».

33. قطب، سيد. (1423). *في ظلال القرآن*. القاهرة. الطبعة الأولى، دار الشروق.

34. الماتريدي، محمد بن محمد. (1426). *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*. تحقيق: د. مجدي باسلوم. بيروت، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية.

35. الماوردي، علي بن محمد.*النكت والعيون*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت، دار الكتب العلمية.

36. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين(1410). *التوقيف على مهمات التعاريف*. القاهرة، الطبعة: الأولى، عالم الكتب.

37. الميورقي، محمد بن فتوح. (1385). *جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس*. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر.

38. الهلال، محمد. *تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي*، النص منسوخ من موقع التفسير https://tafsiralthary.com، المكتبة الشاملة، الكتاب غير موافق للمطبوع.

39. الوادعي، مقبل بن هادي. (1428). *الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين*. صنعاء، الطبعة: الرابعة، دار الآثار .

## Sources and references

**The Holy Quran**.

1. Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. (1421). Tahdhib al-Lughah. Beirut, First Edition: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

2. Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf. (1420). Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir. Edited by: Sedqi Muhammad Jameel. Beirut, Dar al-Fikr.
3. Al-Asfahani, Al-Hussein ibn Muhammad. (1412). Al-Mufredat fi Ghareeb al-Quran. Edited by: Safwan Adnan al-Dawoodi. Damascus/Beirut, First Edition: Dar al-Qalam, Dar al-Shamiya.
4. Al-Ansari, Fareed. (1434). Al-Fitriyya: The Next Renewal Mission of the Islamic Movement to the State of Islam. Cairo, Second Edition: Dar al-Salam for Printing and Publishing.
5. Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail. (1414). Sahih al-Bukhari. Edited by: Dr. Mustafa Deep al-Bagha. Damascus, Fifth Edition: (Daar Ibn Katheer,Daar Al-Yamama) – Damascus.
6. Barghouth, Al-Tayeb. (1416). The Method of the Prophet Muhammad in Protecting the Da'wah and Preserving its Achievements During the Meccan Period. Herndon, Virginia, International Institute of Islamic Thought.
7. Ibn Abi Hatim, Abdul Rahman ibn Muhammad. (1419). Tafsir al-Quran al-Azim. Edited by: As'ad Muhammad al-Tayyib. Saudi Arabia, Third Edition: Nizar Mustafa al-Baz Library.
8. Ibn Abi al-Dunya, Abdullah ibn Muhammad. (1418). Patience and its Rewards. Edited by: Muhammad Khair Ramadan Yusuf. Beirut, First Edition: Dar Ibn Hazm.
9. Ibn Abi Salma, Zuhair. (1408). Diwan Zuhair ibn Abi Salma. Edited and Introduced by: Ali Hassan Faour. Beirut, First Edition: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
10. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abdul Halim. (1422). Majmu' al-Rasa'il. Edited by: Dr. Muhammad Rashad Salem. Riyadh, First Edition: Dar al-Ataa.

11. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abdul Halim. (1425). Majmu' al-Fatawa. Compiled and Arranged by: Abdul Rahman ibn Muhammad ibn Qasim and his son. Medina, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran.
12. Ibn al-Jawzi, Abdul Rahman ibn Ali. (1422). Zad al-Musir fi Ilm al-Tafsir. Edited by: Abdul Razzaq Al-Mahdi. Beirut, First Edition: Dar al-Kitab al-Arabi.
13. Ibn Tayfur, Ahmad ibn Abi Tahir. (1326). Balaqat al-Nisa'. Authenticated and Explained by: Ahmed Al-Alfi. Cairo, School Printing Press of Walidat Abbas Al-awal.
14. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1414). Al-Tahrir wa al-Tanwir "Editing the True Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book". Tunis, Tunisian House of Publishing.
15. Ibn Atiyah, Muhammad Abdul Haq. (1422). Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz. Edited by: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad. Beirut, First Edition: Dar al-Kitab al-Ilmiyah.
16. Ibn Faris, Ahmed ibn Faris. (1399). Muqayyis al-Lughah. Edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun. Beirut, Daar al-Fikr.
17. Ibn Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. (1440). Al-Kafiya al-Shafiya fi Intisar al-Firqah al-Najiya. Edited and Commented by: Muhammad ibn Abdul Rahman al-Arefi, and others. Riyadh/Beirut, Fourth Edition: Daar Ata'at al-Ilm - Daar Ibn Hazm.
18. Ibn Kathir, Ismail ibn Umar. (1420). Tafsir al-Quran al-Azim. Edited by: Sami ibn Muhammad al-Salama. Riyadh, Second Edition: Daar Tayyiba for Publishing and Distribution.
19. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukrim. (1414 AH). Lisan al-Arab. Beirut, Third Edition: Daar Sader.
20. Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa. (1395). Jami' al-Imam al-Tirmidhi. Edited and Commented by: Ahmed Muhammad Shakir, and others. Cairo, Second Edition: Mustafa al-Babi al-Halabi Library Company.
21. Al-Tha'labi, Ahmad ibn Muhammad. (1422). Al-Kashf wa al-Bayan 'an Tafsir al-Quran. Edited by: Imam Abu Muhammad ibn Ashur. Beirut, First Edition: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
22. Jabal, Muhammad ibn Hassan. (1431). Al-Mu'jam al-Istiqraji al-Mu'sil li Alfaaz al-Quran al-Kareem. Cairo, First Edition: Maktabat al-Adab.
23. Hanbal, Ahmad. (1421). Musnad Imam Ahmad ibn Hanbal. Edited by: Shaib Al-Arnaut - Adil Marshad, and others. Beirut, First Edition: Al-Risalah Foundation.
24. Al-Razi, Muhammad ibn Umar. (1420). Mafatih al-Ghaib = Al-Tafsir al-Kabir. Beirut, Third Edition: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
25. Rida, Muhammad Rashid. (1410). Tafsir al-Quran al-Hakim (Tafsir al-Manar). Cairo, Egyptian General Authority for Books.
26. Al-Zamakhshari, Mahmoud ibn Omar. (1407). Al-Kashaf 'an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil wa Uyun al-Aqawil fi Wajh al-Ta'wil. Cairo/Beirut, Third Edition: Dar al-Rayan for Heritage in Cairo - Dar al-Kitab al-Arabi in Beirut.
27. Al-Sakhawi, Muhammad ibn Abdul Rahman. (1405). Al-Maqasid al-Hasanah fi Bayan Kathir min al-Ahadith al-Mashhurah 'ala al-Alsana. Edited by: Muhammad Osman al-Khashat. Beirut, First Edition: Dar al-Kitab al-Ilmiyah.
28. Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa. (1417). Al-Muwafaqat. Edited by: Abu Ubaidah Mashhoor ibn Hasan al-Salman. Cairo, First Edition: Alam al-Kutub.
29. Al-Shanqiti, Muhammad bin al-Mukhtar. (1432). The Islamic Movement in Sudan: An Introduction to its Strategic and Organizational Thought. Beirut, First Edition, Center for Thought Manufacturing for Studies and Training.
30. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. Comprehensive Explanation of the Interpretation of the Quranic Verses. Edited by Mahmoud Muhammad Shakir, up to the end of verse 27 of Surah Ibrahim. Mecca, Dar Al-Tarbiyah Wal-Turath.
31. Al-Tayyibi, Al-Hussein bin Abdullah. (1434). Unveiling the Unknown in Revealing the Mask of Doubt (Al-Tayyibi's Commentary on Al-Kashaf). Edited by Dr. Jameel Bani Atta. Dubai, First Edition, Dubai International Award for the Quran.

32. Al-Askari, Al-Hasan bin Abdullah. (1412). Dictionary of Linguistic Differences. Edited by Sheikh Beit Allah Bayat and the Islamic Publishing Foundation. Qom, First Edition, Islamic Publishing Foundation affiliated with the Teachers' Group in Qom.

33. Qutb, Sayyid. (1423). In the Shade of the Quran. Cairo, First Edition, Dar Al-Shorouk.

34. Al-Maturidi, Muhammad bin Muhammad. (1426). Al-Maturidi's Interpretation (Interpretations of Ahl al-Sunnah). Edited by Dr. Majdi Basloum. Beirut, First Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah.

35. Al-Mawardi, Ali bin Muhammad. Nuggets and Springs. Edited by Sayyid Ibn Abdul Maqsud Ibn Abdul Rahim. Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah.

36. Al-Manawi, Abdul Raouf bin Taj al-Arifin (1410). Detention on the Assignments of Definitions. Cairo, First Edition, Alam Al-Kutub.

37. Al-Miqrizi, Muhammad bin Futuh. (1385). Sparkle of the Selected in Mentioning the Governors of Andalusia. Cairo, Egyptian House for Composition and Publishing.

38. Al-Hilal, Muhammad. Comprehensive Interpretation of the Quran in Linguistic, Scientific, and Rhetorical Miracles. The text is copied from the interpretation website https://tafsiralthary.com ، , the library is comprehensive, the book is not identical to the printed version.

39. Al-Wadi'i, Muqbil bin Hadi. (1428). The Authenticated Hadiths not Found in Sahih Bukhari and Sahih Muslim. Sanaa, Fourth Edition, Daar Al-Athar.